

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190079

UNIVERSAL
LIBRARY

المجلة التاريخية والأدبية

المحاضرة الرابعة

جامع أحمد بن طولون

تأليف



المفهرس بأمانة حفظ الآثار العربية

بوزارة الاوقاف

— — — — —

الطبعة الاولى

سنة ١٣٣٥ هجرية — ١٩١٧ ميلادية

— — — — —

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« مطبعة الترقى بالمنشية قسم الخليفة بمصر »

هداة الى رتبة الجامعة لسمانية بجمهورية مصر العربية
بالرئيس اعزافا بافضول والحكمة من المؤلفين

١٤ محرم ١٤٢٥
١٩٠٨

يوسف احمد

٥٢ فبينما نذكر الله الجليل العظيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
وبعد — فبهذه المحاضرة الرابعة من مجموعة المحاضرات
الأثرية التي أقيمتها على بعض حضرات مدرسي وطلبة المدرسة
الخدوية اثناء زيارتهم للامام كن الأثرية العربية . وموضوعها
التكلم عن « جامع احمد بن طولون »

ولما كانت ترجمة حياة ابن طولون ذلك الامير العظيم
من اهم الدروس التاريخية لانه خطى بمصر خطوة واسعة
في سبيل الحضارة والرقى الادبي حتى تمكن من استقلالها —
افردت لها ملحقا خاصا تابعا لهذه المحاضرة . وستكون
المحاضرة التالية له عن الجامع الازهر ان شاء الله

جامع أحمد بن طولون

هو ثالث جامع بنى للجمعة والجماعات (١) وعرف بالجامع الجديد

١ - الشرع في بنائه

شرع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون في بنائه سنة ٢٦٣ هـ
الهجرية بعد أن بنى القطائع (٢) وقدر له ثلاثمائة عمود . فقبل له

(١) قد بينت اسباب تعدد الجمعة في الجوامع بمصر في المحاضرة
التي وضعتها عن جامع عمرو

(٢) اختلف المؤرخون في تاريخ الجامع واقوالهم تدور بين سنة
٢٥٦ و ٢٦٦ والصواب انه ابتدئ فيه في سنة ٢٦٣ وانتهى منه في
سنة ٢٦٥ والقطائع قطع من الارض كان يسكنها عبيد ابن طولون
وغلمانهم وعساكرهم وكل قطيعة كانت لطائفة تسمى بهم بمنزلة الحارات
التي بالقاهرة . وقد عمرت عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والشوارع
وبنيت فيها المساجد والاسواق وما يتبعها فصارت كأنها مدينة كبيرة
بها ما ينيف عن مائة الف دار وموضعها الآن المنطقة التي بها المذشبة
وشوارع وحارات الخليفة وشوارع طولون وحارانه الى ما يقرب من زين
العابدين . وقد استمرت هذه القطائع زاهية الى ان حرقها في سنة
٤٩٢ محمد بن سليمان وهدم القصر وقلع اساسه واخرج بقية اولاد ابن
طولون وكانوا عشرين انسانا واخرج قوادهم في ذلة واهانة . فسبحان

لا تجدها الا اذا ارسلت الى الكنائس في الارياف والاضياء
الحراب فتحملها منها . فانكر ذلك ولم يختره وتفكر في الامر . فبلغ
المهندس المصري المسيحي الذي بنى له السقاية (١) ذلك الخبر . فكتب

من له الدوام المطلق يعز من يشاء ويذل من يشاء

(١) هي ساقية وقناطر تمتد من بركة الحبش (جهة البساتين) الى
القرافة الكبرى . والسبب في بنائها ان ابن طولون مر يوما بمسجد
الاقدام بالقرافة رقد كسه العطش وكان في المسجد خياط . فقال باخياط
اعندك ماء ؟ فقال نعم . فاخرج له كوزا وقال اشرب ولا تمد . (اي
لا تشرب كثيرا) فتبسم الامير وشرب كثيرا . ثم قال : يا فتى سقيتنا
وقلت لا تمد . فقال نعم اعزك الله موضعنا هاهنا منقطع وانما اخيط جمعتي
حتى اجمع من راوية ماء (قربة) . فقال له والماء عندكم معوز ؟ فقال
نعم . فمضى ابن طولون وارسل الى الخياط وقال له سر مع المهندسين
حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء . وهذه الف دينار خذها
وابتدي في العمل . ورتب للخياط عشرة دنائير شهريا قتم العمل
وظلت مفتوحة ليلا نهارا

قال الامير المهندس المعماري اذا فرغت من العمل فاخبرني لتركب
قراها . فقال له يركب الامير في الغد فقد فرغت . ثم ذهب فرأى
موضعا يحتاج الى قصبة جبر واربع طوبات فبادر الى عمل ذلك
واقبل الامير يتأمل العين فاستحسن جميع ماشاهده فيها . ثم اقبل الى

الى الامير يقول (أنا أبنيه لك كما تحب بلا عمد الاعمودى القبلة)
وكان حاذقا ماهرا باساليب العمارة حسن الهندسة - فاحضره الامير
وتكلم معه فاستحضر خلودا صور له منها الجامع فاستحسنه . وأطلق
له مائة الف دينار للنفقة عليه مؤقتا

الموضع الذي فيه القصرية ووقف عليها صدفة فلرطوبة الجير غاصت
يد الفرس فيه فسقط ابن طولون . ولسوء ظنه فدران ذلك مكيدة
من المهندس البناء . فامر به فشق عنه ماعليه من اثياب وضرب
خمسةائة سوط ثم حبس في المطبق (قمينة الجير) وقد كان توقع من
الجائزة مثل ذلك دنانير . فقام في السجن الى ان اراد الله سبحانه
وتعالى كشف كربة فارسيل ابن طولون اليه لبناء الجامع وكان من
أمره انه لما تم وصلى فيه الامير اول صلاة صعد هذا المهندس ووقف
الى جانب المركب النحاس التي اعلى الفؤارة بوسط الصحن وطالب
الامان والجائزة من الامير فأمنه وخلع عليه واعطاه عشرة آلاف
دينار واجرى له مرتبا شهريا حتى مات

ولما تمت بلغ الامير ان بعض الفقهاء لا يحل شرب ما بها تورعا
منهم لعدم معرفتهم مصدر المال الذي بنيت به . فarsل رسولا الى
ابن عبدالحكم الفقيه يدعوه اليه ليلا . قال الفقيه . فركبت مذعورا
فعدت الى الرسول عن الطريق . فقات أين . تذهب بي ؟ فقال الى
الصحرأ والامير فيها . فايقت بالهلاك وقات للرسول . الله الله في

شرع المهندس في البناء في الموضع الذي فيه الجامع وهو جبل يشكر (١) فكان ينشر الحجر ويعمل منه الجير ويد إلى ان فرغ من جميعه وبلطه وبيضه وعمل فيه المنبر والمحراب والمناور الجص الكثيرة الحسن الدقيقة الاشكال . ونقش سوراً وآيات قرآنية على ايزار السقف وطيبه وفرشه وعلق فيه السلاسل والقناديل الحسان قانى شيخ كبير فارحمى . فقال لى احذر ان يكون لك فى السقاية فول . فسمرت حتى نزلت امام الامير وسلمت عليه فلم يرد على . فقلت أيها الامير . الرسول اعنتنى كثيرا وقد عطشت فيأذن لى الامير فى الشرب . فاراد الغلمان ان يسقونى فقلت أنا آخذ انفسى فاستقيت وهو يراى ومثرت كثيرا حتى كدت انشق . ثم قلت . سقاك الله من ام . لجنة فلقد اروييت واغنيت ولا أدري ما أصف . أطيب الماء فى حالته وبرده . ام صفائه ام طيب ريح السقاية ؟ قال فنظر الى وقال . لك الامر وليس هذا وقته

نبت النفقة عليها . ٤ الف دينار . اه مقرىزى

(١) يشكر اسم رجل من لحم . قال القضاء وابن دقاق ان يشكر بن جديلة من لحم « قبيلة من قبائل العرب » اختطت عند نفقته بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر . وقال ابن الزيات كان يشكر رجلا صالحا وكان له بيت ادخل فى جامع ابن طولون . وروى أيضا ان الجمع قطعة من الجبل المقدس

وحمل اليه صناديق المصاحف . (١) وعمل في مؤخر الجامع من الجهة الغربية ميسأة وخزانة شراب (صيدلة) فيها جميع الشرابات وقال السيوطي . انه جبل كان يصلى عليه التابعون والصالحون .

وقد اشار ابن الصلاح على ابن طولون ان يبنى جامعاه عليه وقال المقرئ عن ابن عبد الظاهر ان يشكر مكان مبارك مشهور باجابة الدعاء . وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات . وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور . اهـ

وبجوار هذا الجبل جبل الكباش ولما اختط المسلمون مدينة الفسطاط صار الكباش من جملة خطة الخراء القصوى . والكباش في اللغة فحل الضأن وكباش القوم رئيسهم وسيدهم وكباش الجيش قائده وحاميه . وبظهر ان الجبل سمي كذلك لارتفاعه ولانه يحوى قومه ويشرف على جهات عدة

اما ما ورد في كتب مرشدى الزوار الاجانب من ان موضع الجامع في النقطة التي ضحى فيها الخيل ابراهيم عليه السلام الكباش . فداء عن ولده الذيح اسماعيل فمحض اختلاق لان ضحية الكباش كانت في منى وهي موضع في الحجاز

(١) وقد ارسل الحاكم بامر الله الفاطمي الى هذا الجامع ٨١٤

والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث
للحاضرين للصلاة
وقد عمل منارة في مؤخره وبلغ جميع ما انفق عليه نحو ١٢٠ ألف
دينار .

٢ — هندسة البناء

ومما أوجده هذا المهندس البارع في البناء العقود الستينية وهي
الاولى من نوعها ان لم تكن عقود الشبايك التي يصل منها الماء الى
قاعة النيل (المقياس) المبنى قبيل بناء الجامع بسنوات سابقة عليها (١)
وبناء هذا الجامع هو الوحيد الذي بقي منذ الف وسبعين سنة لم
يغيره كالدور والاعوام وبه الى الآن بقايا صالحة لم تعث بها يد
الزمان يستدل منها على ان العمارة بلغت من الشأ وعند العرب ما لم تبلغه
عند الامم الغربية — انظر اللوحة الاولى — .

وقد صار هذا الجامع نموذجا لا كثير الجوامع التي انشئت بعده
وقال حضرة صاحب السعادة استاذنا الملامه رتس باشا باشمهندس
لجنة حفظ الآثار العربية سابقا عن هذا الجامع ما يأتي

«والذي يهمنا فيه هو مفصلات ابنته. فبناؤه من الأجر المحصص
ودعائه بها في النواصي الاربع عمد في البناء قواعدا على نسق القواعد
القديمة وتيجانها على شكل نواقيس . والزخارف التي تتحلى بها تلك

(١) بينت ذلك في المحاضرة التي القيت عن قاعة النيل

التيجان على هيئة ورق انبات المسمى بشوك اليهود التي تشاهد
على تيجان العمدة القديمة

ومن هذا الوصف المختصر يعرف المصدر الذي كان يستقى منه
بناؤ والعرب لاول في الديار المصرية . فان لم يكن مقدمناه شاهدا
معززا لرأينا ذكر أيضا العصابات التي من الطرز اليوناني الحافة بالعقود
والعصابة المتخذة من الفسيفساء فوق المحراب (١) ثم أعمدة القبلة وغير
ذلك من التفاصيل

ولا شك ان هذا الجامع الفخيم لم يبرز الى عالم الوجود دفعة
واحدة كما هو من غير ان يكون له سابق . لانا لانصدق ان مثل
هذا الشكل العجيب يبرز من قريحة مبتدعه كما خلق الله الخلق على
غير مثال . بل الذي يرى فيه انه محصل تدرجات الصناعة حسب
السنة المألوفة وهي سنة الترقى

وقل أيضا ان باطن العقود حافظ زخرفته وهي عبارة عن مشبك
كثير الزوايا محلى بنقش عربي ومفرغ في الجص واسننا بحاجة للتنبيه
على اهمية ذلك لان أصل الزخرفة العربية (التفريغ والنقش)
(١) الفسيفساء الموجودة بتجويف المحراب هي من عهد الملك
المنصور لاجين وليست من عهد ابن طولون بدليل الكتابة
بالستخية الموجودة بها فان قلمها لم يوجد في زمن الدولة الطولونية .
انه المؤلف

موجود من القرن الثالث الهجرى « . اه فهرس دار الآثار
والزخرفة التي فى باطن العقود ترى الآن بالرواق القبلى
هذا وقد عملت الزخارف جميعها على أصلها بلا قوالب (طوابع)
بمخلاف ما يعمل فى زماننا فانه اسهل صناعة واقرب وقتا وأقل مصاريف
من تلك

وسنبين كل ذلك فيما يأتى . ولنشرع الآن فى التكلم على
مفردات البناء فنقول

٣ — المحاريب

لم يكن فى زمن ابن طولون الا المحراب الاصلى الموجود بجانب
المنبر ثم استجد بعده خمس محاريب من جص اثنان صغيران
أحدهما على يمين الدكة والآخر على يسارها . والمحراب المستنصرى
الموجود فى منتصف البائكة الثانية بالرواق الشرقى من جهة الصحن .
ومحراب السلطان حسام الدين لاجين وهو على يسار المحراب المذكور .
ومحراب عمل فى زمن المماليك البحرية ونسميه تساهلا المحراب
المملوكى وهو على يسار المحراب الاصلى

— المحراب الاصلی —

اسباب انحرافه . قال محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ بمصر : سمعت غير واحد يقول . لما فرغ ابن طولون من بناء الجامع اسر للناس بسماع ما يقال فيه من العيوب . فقال رجل لمحرابه صغير . وقال آخر ما فيه عمود . وقال ثالث ليست له ميضاة . فجمع الناس وقال :

اما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فاصبحت فرأيت النمل قد اطافت بالمكان الذي خطه (١) فبذيت المحراب على خط النمل . ويسمى محراب النمل لى الآن . ورؤى النبى صلى الله عليه وسلم عدة مرار يصلى فى ذلك المحراب (٢)

وقيل انه لما عزم على بناء الجامع بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالطرق الهندسية نحو العشر درج الى جهة الجنوب . فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا الى جهة الجنوب بنحو

(١) مقرئى ص ٢٦٧ > ٢ (٢) اب اياس ص ٣٨ > ١

ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد الرسول (١)

وفي ولاية قاضي القضاة عز الدين عبدالعزيز بن محمد بن جماعة
(في عصر الناصر محمد بن قلاوون) عقد مجلس بخصوص انحراف هذا
المحراب حضره طائفة من علماء الميقات فجمعوا على انه منحرف الى
جهة الجنوب مغربا بقدر ١٤ درجة . وكتب بذلك محضر وأثبت
على يد ابن جماعة . (٢)

وفي سنة ٨٧٥ تكلم السلطان قايتباي مع القضاة عن انحراف
هذا المحراب . وقد كان الجامع في نظر قاضي القضاة الشافعية

(١) خط عرض المدينة ٢٤° شمال خط الاستواء وخط
طولها ٣٩° شرق جرينوتش

وخط عرض القاهرة ٣٠° شمال خط الاستواء وخط
طولها ٣١° شرق جرينوتش

اما مكة فخط عرضها ٢١° شمال خط الاستواء وخط
طولها ٤٠° شرق جرينوتش

ومن هذا يتضح خطأ ابن طولون ومن وافقه على ذلك . وابل
اتجاه المحاريب القديمة بمصر سبب بينه المقریزی في خطه ص
٢٥٦ وما يليها ٢

(٢) مقریزی ٢٥٦ > ٢

فقال القاضي ينبغي ان يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة القبلة .
(١) ولكنه لم يتغير الآن

كسوته . اما كسوة هذا المحراب والفسيفساء المذهبة التي
بتجويفه فها من زمن الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين الذي
جدد الجامع في سنة ٦٩٦ بدليل الكتابة النسخية السابق التكلم عليها .
وهذه الفسيفساء متخذة من فصوص زجاج مذهب . واقدام ما عثرت عليه
منها موجود بمحراب قبة شجرة الدر التي بنيت سنة ٦٤٨ ثم محراب المدرسة
المنصورية سنة ٦٨٤ ثم محراب ابن طولون هذا سنة ٦٩٦ فما هو
بجامع الناصر محمد بالقلعة سنة ٧٣٥ فمحراب الاقبة اوية بالازهر سنة ٧٣٩
واقدم الفسيفساء المتخذة من رخام (خردة) ملون وبه بعض
الصدف وزرة قبة قلاون

واقدم كسوة رخام وزرة قبة الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨
ولكنها ليس عليها مسحة من البهاء

هذا فيما يختص بالفسيفساء والكسوة — اما الاعمدة الرخام
فصناعتها بيزنطية وربما كانت من عصر ابن طولون ومن صناعة
الهندس المصرى العظيم بدليل قوله للامير « انا ابنه لك بلا عمد

الا عمودى القبلة « أن لم يكن وجودها هناك من زمن لاجين
والطراز الخشب المنقوش بالخط الكوفى « لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم » هو من عهد ابن طولون
وجاء عن المستعيل الخشب العلوى فى الخط التوفيقية ص
٤٨ ح ٤ ان به خمسة اسطر بالخط العربى لكنه لا يقرأ لمحو اغلبه .
اه ويظهر من هذا ومن شكل الدهان الموجود على الخشب انه
حديث الصنائة

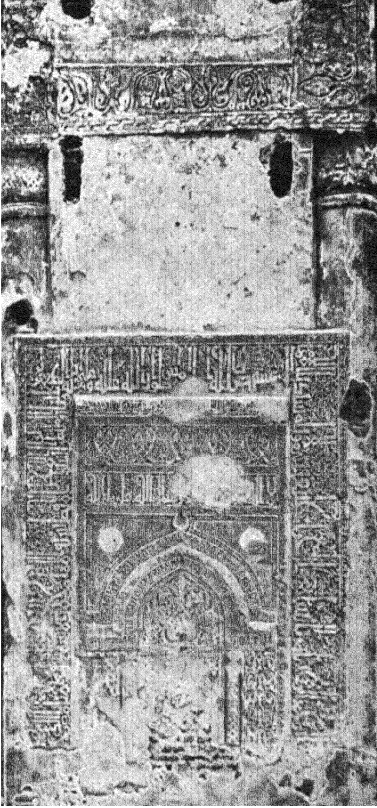
اما القبة الخشب الموضوعة بالسقف اعلى المحراب فهى حديثة
العهد ولا اعلم من وضعها . والمقرنص الذى بزواياها الاربع جددته
لجنة حفظ الآثار

— المحرابان الصغيران —

وهما على جانبي الدكة منقوش على كل منهما سطر بالخط الكوفى
به « لا اله الا الله محمد رسول الله » وفى وسط السطر المنقوش
بالمحراب الايمن كتابة نسخية حديثة بخط ردى نصها « على ولى الله »
وهذه الجملة استعملها الفاطميون وكانوا يقرنونها دائما بجملة « محمد
رسول الله »

ومن ذلك يظهر ان الكاتب لها هو احد الشيعة المتأخرين

اللوحة الثانية



جامع احمد بن طولون

وجهة الجراب المستنصرى (رسم المؤلف)

— المحراب المستنصرى —

رمو في منتصف البائكة الثانية الشرقية من جهة الصحن . ولا حاجة لان اذكر دقة صناعته وحسن زخرفته فانها واضحة جلية يقف الانسان امامها مندهشا مما كان عليه الساف من حسن الاسلوب المعمارى وكثرة الشغف بالنقوش العربية الجميلة الهندسية . وهى كما ترى فى اللوحة الثانية

نقش على هذا المحراب بالخط الكوفى الجميل

اولا — اطار كبير به مانصه « بسم الله الرحمن الرحيم امر بائشاء هذا المحراب خليفة فتى مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين . . . » وقد قرأت بالاجزاء الناقصة الاخيرة منذ سنوات هذه العبارة « خليل أمير المؤمنين »

ثانيا — سطر صغير ضيق برى تحت السطر الافقى من الاطار به « . . . ثقة الامام فخر الاحكام (م) . . . لقامم عبدالحاكم بن وهيب بن عبد الرحمن »

ثالثا — سطر كبير به « لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله »

رابعا — فوق الخموس « الله اوحى اليك من الكتاب واتم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
أكبر والله يعلم ماتصنئون »

خامسا — تحت النحموس « بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا الحمد
لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذى أحلنا دار المقامة من فضله . صدق الله »

فمن الكتابة الاولى يتضح ان هذا المحراب عمل فى زمن
المستنصر بالله الفاطمى الذى توفى سنة ٤٨٧ هـ وان الأمر بانشائه هو
خليفة فتى المستنصر . ومن لفظة (الافضل) المدونة فى الاقواب يعلم
ان فتى المستنصر هو الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدرالجمالى .
(١) — ويلزم ان تكون الاقواب صفة لفتى المضاف الى خليفة
على ان هذه الاقواب كلها عدا لقب (فتى) تلقب بها الافضل

فى حياة والده سنة ٤٨٢ هـ — راجع المقرئى ص ٢٤٢ > ٢
وقد كانت القاب والده — (فتى مولانا الامام المستنصر بالله
السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة
المسلمين وهادى دعاة المؤمنين) كما هو منقوش على المشهد الجيوشى
(١) تكلمت على ترجمة حياتهما بالتفصيل فى المحاضرة السابعة
التى كان موضوعها — أبواب القاهرة وسورها —

بالمقطم ومذكور في بعض الكتب التاريخية مكابن خلكان ورفع
الامر والمقرىزى والاشارة الى من نال الوزارة (١) فكان يولى
القضاة من قبله . وكل من تولى منهم يقال له خليفة مولانا — أى
نائب الوزير —

ولما تعين فى الوزارة بعده ولده الافضل شاهنشاه فى شهر ربيع
الاول سنة ٤٨٧ وكان عمره اذ ذاك ٢٩ سنة اختص بهذه الالقاب
أيضا فصار يولى القضاة من قبله

ويستنتج مما سبق ان هذا المحراب لابد ان يكون تاريخ
انشائه سنة ٤٨٧

اما الكتابة الثانية فتشير الى ان هذا المحراب له علاقة بابا امام
فخر الاحكام ابى القاسم عبدالحاكم الذى قال عنه ابن حجر فى كتابه
(رفع الامر عن قضاة مصر) ما يختصره

عبدالحاكم بن وهب بن عبد الرحمن بن المليجى الربى من

(١) الفه ابو منجب الصيرفى للوزير المامون الذى تولى بعد
الافضل شاهنشاه سنة ٥١٥ ومحفوظ منه نسخة بالمكتبة الخالدية
بيت المقدس الشريف . وقد نسخت صورة منها عند تشيرى
يزيارتى للقدس فى سنة ١٣٢٨

أهل مصر اسماعيلي المذهب . يكنى أبا القاسم . تولى القضاء في
سابع ذى القعدة سنة ٤٥٠ ولقب قاضى القضاة ثقة الانام علم الاسلام
فساءت احدثه وقبخت طريقته فصرف في ١١ رجب سنة ٤٥٢
ثم اعيد بعد سنة وأضيف اليه المظالم وجميع أسباب الحكم من الصلاة
والخطابة وغير ذلك سوى الدعوة وصرف في رمضان من السنة
نفسها . ثم اعيد في المحرم سنة ٥٤ وأضيف اليه العامة وعزل بعد سنة
ثم اعيد وعزل خمس مرات اخرى نهايتها ربيع الاول سنة ٤٦٤
وكان عارفا باختلاف الفقهاء .

والى هنا انتهى مادونه ابن حجر (١) ولم اقف له بعد على ترجمة
تامة الا ان وجود اسمه على هذا المحراب الذى برهنا على وجوب
انشائه سنة ٤٨٧ يشير الى ان هذا القاضى عمر حتى سنة ٤٨٧ ان لم
يكن عاش بعدها أيضا ويحتمل انه أعيد الى منصب القضاء مرة
أومرات اثناء ذلك لاسيما اذا اعتبرنا التقلبات العديدة التى
طرات عليه

(١) لم يتفق معه فى هذه التواريخ السيوطى فى كتابه حسن

— محراب لاجين —

انشأ هذا المحراب حسام الدين لاجين في سنة ٦٩٦ وصنعه على
مثال المحراب المستنصرى الموجود على يمينه . وتتش عليه اطاراً
بالخط الكوفي به مآنه

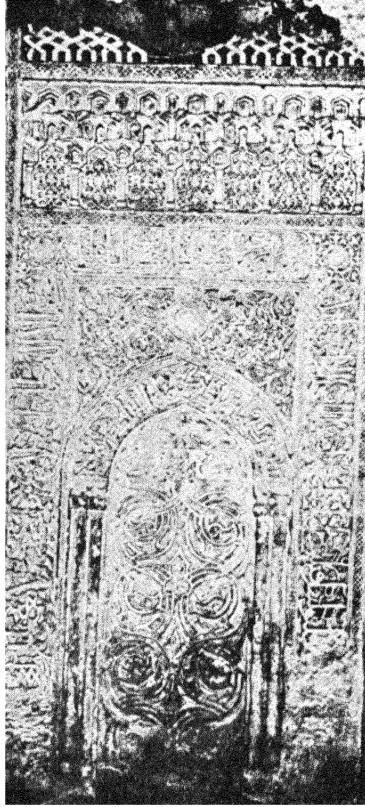
« . . هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور
حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الاسلام . . »
وتتش به ايضاً على الخموس « لا اله الا الله محمد رسول الله
حسبي ربي الله »

ومن ينعم النظر فى هذا المحراب يجد ان دقائقه الفنية اقل من
دقائق المحراب المستنصرى كما ان مادته الجصية التى عمل منها لم
تسكن متينة . ولذلك قد اندثر او كاد قبل ان يطرأ على المحراب
الآخر مثل ذلك

— المحراب المملوكى —

يوجد هذا المحراب على يسار المحراب الاصلى . وبزعم كثير
من الناس ان السيدة نفيسة بنت الامام زيد رضى الله عنهما كانت
تصلى فيه . وهذا لاصحة له لان السيدة انتقلت الى رحمة ربها فى
سنة ٢٠٨ من الهجرة اى قبل بناء الجامع بسبع وخمسين سنة

اللوحة الثالثة



جامع احمد بن طولون

وجهة المهراب المملوكي (رسم المؤلف)

وربما كان هـذا المحراب هو المنسوب الى السيدة فاطمة الزهراء — فقد ذكر ابن دقاق ان رجلا رأى فى المنام كأن فاطمة الزهراء ضى الله عنها تصلى فى مكان من هـذا الجامع . فلما اصبح اخبر الناس بذلك فصلوا فيه وعملوا عليه مقصورة تعرف للآن بمقصورة فاطمة الزهراء اه — انظر الاوحة الثالثة —

ومنقوش بالخط النسخى على الاطار آية قد نرى تقلب وجهك فى السماء . وعلى دائر الخموس وصدره بالخط الكوفى « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » ويتضح من شكل المقرنص والكتابة انه عمل فى زمن المماليك الاولى التى ابتدأت فى سنة ٦٤٨ وانهت سنة ٧٨٤ .

هذا واقدم المحاريب الموجودة للآن بمصر هى المحاريب التى كانت تعمل فى زمن الفاطميين . وهى اما ان تكون خشبا منقوشا يسهل نقله من مكان لآخر او بناء من خرفا بالجص المنقوش . فالتى من البناء هى محاريب المشاهد المجاورة لمسجد سيدنا الامام الشافعى . وتربة اليسع ورويل ومشهد الجيوثى ومشهد السيدة رقية والتى من الخشب فاقدم ماعرفته منها للآن محراب كان بالجامع الازهر انشاه الامر باحكام الله سنة ٥١٩ ثم محراب مشهد السيدة رقية سنة ٥٣٥ وكلاهما موجود بدار الآثار العربية

٤ — المنبر (١)

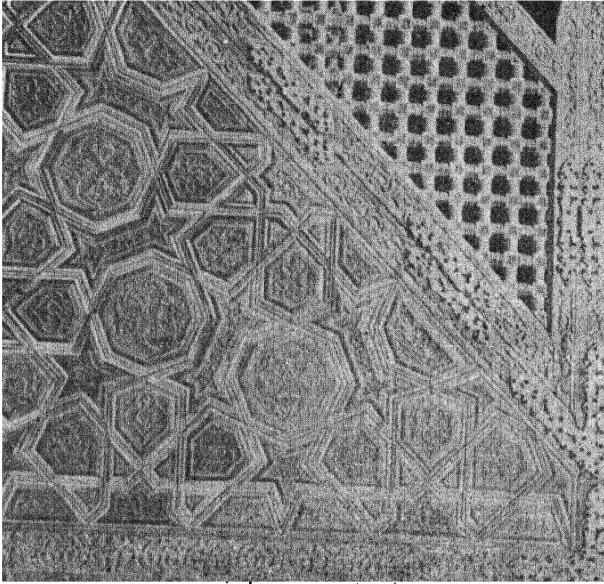
لما انشئ الجامع عمل فيه منبر استمر حتى نقله الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين ونصبه في الجامع الظاهري بمشاة المهراني المنشأ سنة ٦٧١ هـ (٢) وعمل بدلا عنه هذا المنبر سنة ٦٩٦ وجعل حشوه من خشب ساج هندي وابنوس ولعظم من خشب نقي وخرط الداريزين من خشب بقس وكتب على وجهته سطرين نصهما « امر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة » تعتبر صناعة هذا المنبر من ادق واتقن ما عمل على الاخشاب في القرون الاولى الهجرية وقد سرقت اجزائه الهامة منذ ثلاثين سنة ويبحث في اوربا وكثير منها مودع في دار الآثار بلوندره. فصار هيكلًا عظيمًا لا قيمة له حتى شرعت لجنة حفظ الآثار العربية في اصلاحه فاشترت بض مائة ثرت عليه من مسروقاته واهداها بعضهم طائفة منها فرمت في سنة ١٣٣٣ الهجرية وما اعادله بهجته الاولى — وهاك صورة قطعة منه في اللوحة الرابعة

هذا واقدم منبر من الخشب المعشق المنقوش الموجود للآن

(١) تكلمت عن اصل المنابر في الاسلام في محاضرة

جامع عمرو (٢) ابن دقاق ص ١٢٠ ح ٤

اللوحة الرابعة



جامع احمد بن طولون
جزء من الجانب الايسر للمئبر (رسم انوآلف)

يحصر هو منبر الجامع العمري بقوص . انشاء الملك الصالح طلائع
وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمي سنة ٥٥٠ من الهجرة .

ثم منبر لاجين الذي نحن بصدده فزبر الامير بكتمر الجوكندار
(سنة ٦٩٩) بجامع الصالح طلائع خارج باب زويلة . ثم منبر جامع
المارداني (سنة ٧٤٠)

وكانت المنابر في العصر الاول تعمل سدا بدون نافذتين في
الجانبيين كما يشاهد في المنابر السالفة الذكر . ثم عمل فيها بعد ذلك
البابان المسميان ببابي الروضة وصارا كائهما من لوازم المنابر الآن

واقدم منبر رخام هو منبر جامع الخطيرى ببولاق (سنة ٧٣٧)
وقد عثرت لجنة حفظ الآثار على الاجزاء الباقية منه بعد تخرب الجامع
فاودعتها في دار الآثار العربية

حادثة الخطيب . لما رقى الخطيب ابو يعقوب الباكى المنبر
فخطب دعا للمعمد ولولده ونسى ان يدعو لابن طولون ونزل عن
المنبر . فاشار الامير الى غلامه نسيم بضرب الخطيب خمسمائة سوط .
فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال « الحمد لله وصلى
الله على سيدنا محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل قنسى ولم نجد له عزما
اللهم واصلىح الامير ابا العباس احمد بن طولون مولى امير المؤمنين »
هزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل . فنظر الامير الى

السلام باستبدال الاسواط بدنانير . ووقف الخطيب على ما كان
حده فحمد الله تعالى على سلامته وهناه الناس (١)

٥ — المناور الجص

وعمل به من المناور الجص ١٣٠ منورا . في كل من الجنبين
الغربي والشرقي ٣٣ والبحري والقبلي ٣٢ وحول كل منور اطار
منقوش كتابة كوفية بها آيات قرآنية

وقد ركبت هذه المناور متداخلة عن وجه الحائط لاطهار هيئة
العمد وطي العقد المزخرف

وقد كانت تفرغ بمحياها أولا فكان يعمل لوح من الجص
طبقات فوق بعضها كطبقات البياض بالثخانة المطلوبة ثم يرسم عليه
المشبك ويفرغ ما يلزم تفريغه من وجهه على زاوية مستقيمة
ولما تترقت الصناعة صارت تصب عجينة الجص لوحا بالثخانة
المطلوبة وبعد التفريغ يركب اللوح في محله . وهذه هي الطريقة
المتبعة الآن

وقد اتخذت مناورا ابن طولون مثالا ونسج على منوالها في

الجوامع التي أنشئت في زمن الفاطميين ومن بعدهم الى اواخر عصر الدولة البحرية واستعملت لسد النوافذ العليا في الجوامع المكشوفة الصحن كما يشاهد ذلك في آثار هذه الدول

ثم استعملت عنها بشبايك السلك المتخذ من النحاس ثم بالخشب المصنوع خرطاصهريجيا . واخيرا « باليشة » وهي قطع رفيعة من خشب توضع مشبكة وهي باقية في بعض المساجد والمنازل للآن

على ان بعضهم كان يستبدل الجص بشبايك من خشب مفرغ ومنقوش على شكل زخرفة جميلة لان الخشب يمتكث زمنا اكثر من الجص . والبعض استبدلها بحجر منقوش مفرغ وقليل ما هم

اما العمارات المسقوفة فاتخذت فيها هذه المناور من الخارج لحفظ الشبايك الاصاية المتخذة من جص وزجاج ملون وتعرف بالقمرية او الشمسية وهذه على نوعين كلاهما من آثار عصر مخصوص وسنتكلم عليهما عند التكلم على قبة الصالح نعم الدين المنشأة سنة ٦٤٧ بالنحاسين

لم يبق من المناور التي عملت في زمن ابن طولون الا بعض من الاطر التي كانت منقوشة بالخط الكوفي حول المناور لانه من الاطلاع عليها يظهر

اولا — ان قسما من الاطر قديم على اصله لم يتغير وهذا كتابته

على نسق كتابة الايزار الخشب والكتابات التي
وجدت على الالواح الرخام التي كانت شواهد للقبور
حوالى زمن الطولونيين

ثانياً — والقسم الآخر بعضه تجدد فى زمن الفاطميين وعمل
زخرفة بدلا عن الكتابة . والبعض الآخر عمل فى
زمن حسام الدين لاجين وهو اما ان يكون كتابة كوفية
من كلمات مكررة او آيات قرآنية بخط تقليد للكوفى
القديم . او يكون زخرفة بشكل (كرنواز) مثلاً او ما يشبهه
ثالثاً — من الاطلاع على الاحام الكائن بين الاطر القديمة
الاصاية والمناور المفرغة وبين الاطر الزخرفة التي
عملت فى زمن الفاطميين والمناور المصوقة بها يتضح
ان هذه المناور المفرغة حديثة العهد عملت بدلا عن
مناور اخرى كانت بمحاطها ودثرت . اما الاطر الحديثة
التي عملت فى زمن لاجين فلم يكن بينها وبين المناور
لحام ما

رابعاً — ومن يرجع ببصره الى المشبكات الهندسية الموجودة
بباطن عقود البوائك ويقارن بينها وبين المشبكات
الموجودة بالمناور يظهر له الفرق بلا تردد جليا واضحا
ناظرا ان هذه المناور صناعتها متقنة ورسومها ادق من

تلك . ولا يتأتى ذلك الا من تقدم الصناعة ومضى
اجيال عليها وهي متدرجة من الحسن الى الاحسن
حسب سنة الترقى

هذا وقد قال حضرة صاحب السعادة هرتس باشا عن هذه
المناور ما يأتى : لا يرجح عندى ان هذه الشبايك معاصرة لبناء
الجامع لان زخرفتها ليس فيها شىء من أثر التردد الذى هو الوصف
الغالب على الزخرفة الاصلية لهذا الاثر . بل ان عليها بصمة الاستاذية
التي تشاهد فى منشآت العصر الزاهر لمحمد الناصر

على انه لاشك عندى فى ان الشبايك الحالية هى بدل شبايك
اخرى كانت عملت فى عهد ابن طولون . ويؤيد ما نقول ان بجامع
الحاكم بامر الله ايضا مناویر ليست فى الاتقان مثل هذه المناویر .
ونلاحظ ايضا ان جامع ابن طولون عمر فى القرن لثالث عشر
الميلادى (سنة ٦٩٦ هـ) تعميرا كاد يغير كيانه وعلى ذلك يرجح
ان تكون هذه المناویر من عهد اصلاحه . ويزيد هذا الترجيح
ثبوتا كون زخرفة باطن شبايك جامع ابن طولون هى عين زخرفة
قبة قلاون . اهـ دایل دار الآثار



٦ — اسقف الجامع وايزاره

لم يبق من السقف القديم الذى صنع في عصر ابن طولون شئ من
سوى الاقريز المصنوع من خشب الجيز اسفل السقف الحالى
والمنقوش عليه بالخط الكوفى آيات قرآنية

يزعم كثير من الناس والسواحين ان به القرآن كله . وبمضهم
يقول ان الحروف مقطعة ومسمرة على الطراز . وهذا لاصحة له لانها
نقش بارز على اللوح ذاته . ولوقيس دائر الاسقف كلها واعتبر
مقاس الجزء الذى به سورة الفاتحة لتبين لنا ان المنقوش على جميع
الايزار لا يزيد عن ثلاثة اجزاء من القرآن

واما اجزاء السقف القديمة التى ترى الآن فقد جاء عنها فى
حليل دار الآثار ص ١٠٨ ما نصه : « واقدام جوامعنا الذى هو
جامع ابن طولون كان مسقفاً بخشب براطيمه مرئية ، هى عبارة عن
افلاق من النخل مكسوة وجهاتها الثلاث المرئية الواحا من الخشب

وفى هذا السقف ركبت فى الفراغ بين كل برطومين عوارض
عمودية عليها فتتج عن ذلك اخاديد قليلة العمق . ولم يأت للجنة ان
تحتفظ من السقف القديم الاجزاء صغيرا . اهـ

والذى اراه ان هذه البقايا ليست من عصر ابن طولون بل هى
من السقف الذى صنعه حسام الدين لاجين منذ ستمائة وتسع وثلاثين

سنة يؤيد ذلك قول ابن اياس في كتابه ص ١٣٦ ح ١ « ثم اخذ لاجين في اسباب عمارة جامع ابن طولون وكان خرابا بغير سقف مائة و سبعين سنة »

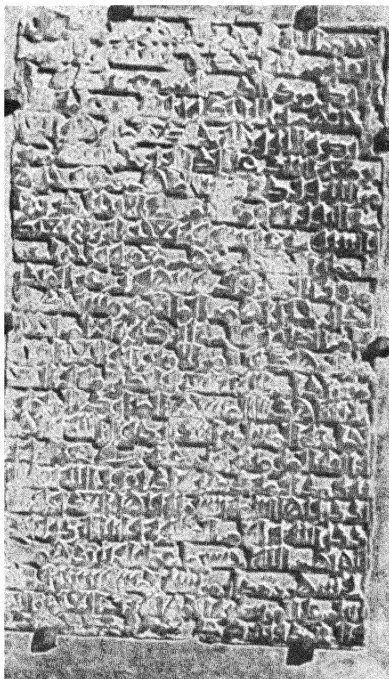
وقول المازيزي في خططه ص ٢٦٨ ح ٢ « لما كان الغلاء في زمن المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم السا كن هناك وصار ماحول الجامع خرابا وتواتت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار اخيرا ينزل فيه المغاربة بابا عرها ومتاءها عند ما تمر بمصر ايام الحج » وهو وان لم يكن واضحا الا انه يستدل منه على تخربه وليس ببعيد ان تكون الاهالى اقتلعت الاخشاب في ذلك الوقت للانتفاع بها

وقبل ان تنتقل الى معاينة القبة تتكلم على اللوح الرخام الماصق على احدى الدعائم بالرواق الكبير حتى لا تعود اليه مرة ثانية فتقول

٧ - اللوح الرخام

لما تم الجامع نقش المهندس المصرى مذكرة تاريخية بالخط الكوفى على بضع الواح رخام وضعها على ابواب الجامع العمومية

اللوحة الخامسة



جامع احمد بن طولون

اللوحة الرخام المنقوش عليه تاريخ الافتتاح (رسم المؤلف)

تتضمن تاريخ انشائه والباعث للامير عليه .

بقي من هذه الألواح أربع قطعات مختلفة الخط والمقاس عويذت
ورسمت في كتاب الحملة الفرنسية في عهد بوناپرت ١٢١٣ هـ —
١٢١٦ هـ فالاول منها ٢٥ سطرا والثاني ٢٦ والثالث ٣١ والرابع ٣٤
ثم تغلبت عليها الايدى فدنثرت ولم يبق منها الا لوح رخام قال عنه
المرحوم علي باشا مبارك في خططه ص ٤٨ ح ٤ انه كان على باب
الجامع من الداخل تجاه الميضاة .

وقد عثرت لجنة حفظ الآثار على اجزائه اثناء هدم المباني الرديئة
التي كانت بالجامع ومشال الاتربة فجمعتها ورتبتها فكان منها النصف
الايمن الاصلى ومقاسه ٠٫٩٦ متر عرضا في ١٫٦٢٥ متر علوا ويحتوى
على ٢٥ سطرا فاصقته على احدى الدعائم بالرواق الكبير — انظر
اللاوحة الخامسة — وهالك نص الكتابة المنقوشة عليه . والكتابة
المفقودة والتي في السطر السادس والعشرين نقلتها من كتاب الحملة
الفرنساوية . وقد بينت هنا رقم السطور لتسهيل على المراجع قراءته
١ « بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا اله الا هو
الحى ٢ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى
٣ الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم و
٤ ما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه

السموات و ٥ الارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم محمد رسول الله والذ ٦ ين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً ٧ من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم ٨ في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ ٩ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا ١٠ وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً كنتم خير أمة أخرجت للناس تأ ١١ مروون بال معروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب ١٢ لكان خيراً لهم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأ ١٣ قام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا ١٤ من المهتدين أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤ ١٥ منين إدام الله له العز والكرامة والنعمة ٠٠٠ في الآخرة والاول ١٦ لى ببناء هذا المسجد المبارك الميعون من خالص ما آفاه الله عليه وطيبه ١٧ لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وإيثارا لما فيه تسنية الدين ١٨ والفة المؤمنين ورغبة فى عمارة بيت الله وإداء فرغته وتلاوة كتنا ١٩ به ومداومة ذكره اذ يقول الله تقدس وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع و ٢٠ يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ٢١ ذكر الله

وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
 ٢٢ . ليجزئهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله
 يرزق من يشاء بغير حساب ٢٣ في شهر رمضان من سنة خمس
 وستين ومائتين سجدان ربك رب العزة عما يصفون و ٢٤ سلم
 على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
 وارحمهم محمد ٢٥ وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كافضل
 ماصايت وترحمت وباركت على ابراهيم ٢٦ وعلى آل
 ابراهيم وانعم انك حميد مجيد »

وعثرت اللجنة أيضا على قطعة أخرى من لوح مقاسها
 ٤٣ ر ٠ × ٣٠ ر ٠ متر بها ٤ أسطر هذا نصها « ب لكان خير .
 الاخروا . عسى اولئك . احمد بن طو . » وهي مودعة بدار
 الآثار العربية تحت رقم ٧٣

٨ — القبة بوسط الصحن

لما انشأ ابن طولون الجامع جعل في وسط صحنه قبة مشبكة من
 جميع جوانبها وهي مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمودا في
 جوانبها مفروشة كلها بالرخام . وتحت القبة قصعة (حوض) رخام
 قطرها اربعة اذرع في وسطها نافورة ماء . وفي وسطها قبة

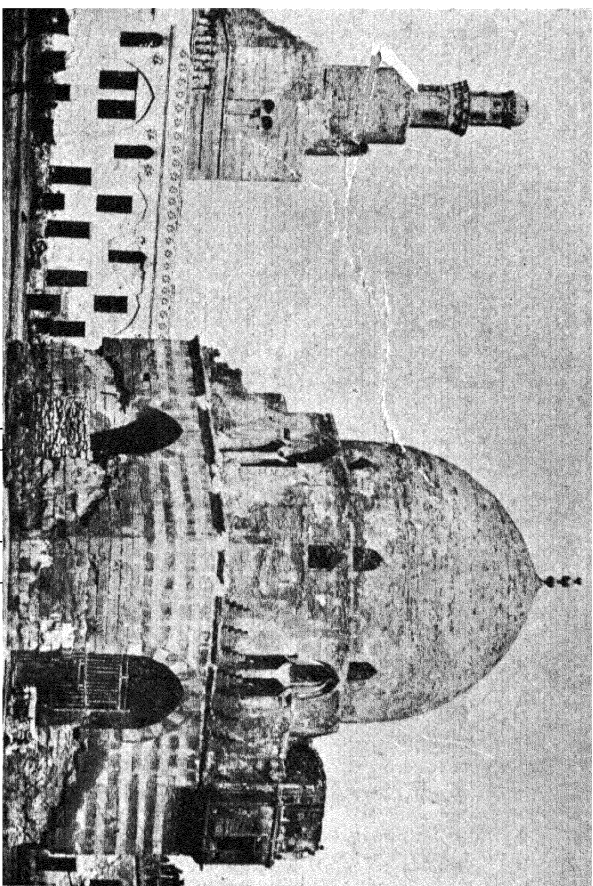
مزوقة يؤذن فيها وفي اخرى على سلمها وفي السطح علامات الزوال والسطح بدر بزين ساج (١)

هذه القبة عاينها البشارى وتكلم عنها فى ص ١٩٩ من كتابه « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » (٢) فقال : — والجامع الفوقانى من بناء بنى طولون اكبر وابهى من السفلانى (جامع عمرو) على اساطين واسعة مصهرجة وستوفه عالية فى وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية . مشرف على فم الخليج وغيره . وله زبادات . وخلفه دار حسنة . (دار الامارة) ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج . والحد بين اسفل وفوق مسجد عبد الله (جامع العسكر) قد بنى على مساحة الكعبة » اهـ

بقيت هذه القبة حتى احترقت فى جمادى الاولى سنة ٣٧٦
فجدها العزيز بالله ابن المعز العبيدى فى سنة ٣٨٥ هـ وقيل ان امه

(١) مقرئى ص ٢٦٧ ح ٢ وابن دقاق ١٢٣ ح ٤

(٢) هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسى المعروف بالبشارى . فرغ من تأليف كتابه احسن التقاسيم فى سنة ٣٧٥ من الهجرة وهو كتاب نفيس طبع بمدينة ليد بهولنده سنة ١٨٧٦ م . وانى الفت نظر حضرات مدرسى الجغرافيا الى مطالعته وهو موجود بدار الكتب السلطانية تحت رقم ٣٩٢ تاريخ



جامع احمد بن طولون

القبّة والمنارة قبل الإصلاح الحديث الذي باسرتّه الجعنة (من حفرو ظلت الجعنة)

نغريدهى الآمرة بالبناء وان راشدا الخفيفى او الخنفى هو المباشرة للعمارة (١)
استمرت هذه القبة الحديثة حتى سنة ٦٩٦ الهجرية فجددها
برمتها السلطان لاجين . وبنى قاعدتها بالحجر ومقاس كل من الضامين
البحرى والقبلى ١٢٫٧٥ متر . والشرق والغربى ١٤٫١٠ متر وهى
مكونة من اربع بوائك معقودة عقدا ستينيا . وعمل فى الجنب البحرى
منها سلما فى داخل سمك الحائط يصعد منه الى سطح القاعدة .
وخلوة لطيفة فى نهاية الجنب المذكور من شرق . وتتش على قطعة
خشب بالجنب الشرقى مانصه « امر بتجديد هذا الجامع مولانا
السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

وبنى القبة بالآجر وتتش بها من الداخل طراز اعلى المقرنصات
بالجص فيه آيات قرآنية عن الطهارة والصلاة . وجعل بوسط ارض
القبة فسقية استعمات للوضوء فيما بعد .

ثم حدثت بعد زمن غرفة فى الجناح البحرى الشرقى للسطح
بقيت حتى هدمتها لجنة حفظ الآثار وهى مينة فى اللوحة السادسة

(١) قال ابن دقاق « ان القبة احترقت سنة ٢٧٩ وتجددت
فى سنة ٣٨٥ » وقد وهم فى ذلك لان الدولة الطولونية انتهت فى سنة
٢٩٢ ولا يعقل ان تحترق الفوارة والقبة فى زمنهم ولم يجددوها . ثم
ان البشارى رآها قبل الحريق

ولما كانت القبة فى وسط الصحن شبيهة بالكعبة فى وسط الحرم المكى جاء عنها فى كتب السواح « ان بناء الجامع - خصوصا القبة - تقيد لبناء الكعبة (١) وعن القطعة الخشب السالفة الذكر انها من سفينة نوح عليه السلام » قيل ذلك تعظيما لشئ الكعبة المزورة وهو محض اختلاق لاصحة له . لانه لم يكن فوق الكعبة قبة حتى يصح التشبيه بل القبة التى هناك هى على بئر زمزم انشاها المنصور ابو جعفر سنة ١٤٥ وهى وان تكن فى الصحن الا انها بعيدة عن الكعبة . وقد جاء تشبيه ابن البشارى لهذه القبة بانها « على عمل قبة زمزم فيما سقاية » لان زمزم يشربون الناس منها ولما كانت قبة

(١) لم تكن الكعبة فى بادىء الامر فى وسط الحرم والذى جعلها متوسطة الخليفة ابو عبدالله محمد المهدي العباسى وذلك انه حج سنة ١٦٠ فوجد الكعبة فى جانب المسجد فهدم حيطانه واشترى كثيرا من المنازل وزادها فى المسجد خصوصا فى الجهة الشرقية القبلىة واحضر المهندسين وصير الكعبة فى الوسط . وهى ليست مربعة اذ ضلعان منها ١٠١٠ مترا وضلعان ١٢٠٠ مترا وعلوها ١٥٠٠ مترا وارتفاع عتبة بابها عن الارض متران وهى فى الوسط بميل الى الجنوب وبوسطها من الداخل ثلاث اعمدة من العود القاقلى عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من اخرى .

ابن طولون في وسطها فؤارة للماء انطبق التشبيه من هذه الوجهة فنظ
ولو علم الناس ان كل بناء شكله منشور رباعي يقال له كعبة
وان كعبة البيت الحرام ماسميت كعبة الا لتكسيها اى تريعتها وارتفاع
بنائها — راجع فقه اللغة ولسان العرب — لاخفضوا من غلوائهم ولم
يتهموا ابن طولون بما ينسبون اليه من الاضاليل زورا كتمولهم انه
أراد ابطال حج بيت الله الحرام فبنى هذه القبة ليطوف الناس حولها —
هذا وقد جاء ذكر الكعبة في خطط المقرئ ص ٤٥٣ > ٢
دليلا على البناء المربع حيث قال : — وكان بمرافقة مصر جواسق
(قصور — مناظر مرتفعة) — منها ماتحتة حوض ماء لشرب
الدواب وفسقية وبستان . وكان لكل من اكابر الأمراء جوسق
يتنزه فيه ويعبد الله تعالى هناك . وكان لابي بكر محمد بن علي
السادرائي وزير آل طولون جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة .
يحتضن عنده في الأعياد الخ . مقال .

ولما شرعت لجنة حفظ الآثار في اصلاح الجامع اصاحت ماتهدم
من هذه القبة فأعادت الابنية الحجرية كأصلها واستأصلت الغرفة
الحديثة ولم تعد الشرافات الحجر التي كانت بدائر القاعدة والواضحة
في اللوحة السادسة — وامل ذلك باق الى فرصة أخرى — وييضتها
من الخارج فاصبحت كما ترى في اللوحة السابعة

هذا ولم تكن القباب تبنى في الزمن السالف الا بالآجر . واول
قبة رأيتها مبنية بالحجر (١) هي قبة بمسجد سنجر الجاولى سنة ٧٠٣
وهي صغيرة الحجم تكاد لا ترى بالنسبة للقبتين الضخمتين المجاورتين
لها المبنيين بالآجر . ثم قبة تربة تنكز بقا سنة ٧٦٤ قباب اخرى

٩ — منارات الجامع

❦ المنارة الكبرى ❦

بناء هذه المنارة بالحجر الوارد من محجر البساتين ودرجها من
الخارج ومقاس قاعدتها ١٠ر٩٥ × ١٠ر٦٠ مترا وليس بمصر منارة
غيرها سلمها من ظاهرها . ويتوصل من سلمها الى سطح الجامع .
ويصل الانسان الى دورة المؤذن بعد ما يصعد ١٧٢ مرقة . وعدد
حراقي الدورة العلوية ١٦ وارتفاع قمة المنارة عن أرض الجامع
٣٩٠٠ مترا

(١) وبهذه المناسبة نصصح ماجاء في دليل دار الآثار ص
٦٢ وهو ان اول قبة اتخذت من الحجر التحت على تربة السلطان
برقوق سنة ٨٠٨

ولبناء سلمها من الخارج سبب ذكره المؤرخون

فقال ابو المظفر يوسف المعروف ببسيط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ في كتابه مرآة الزمان : — قرأت في تاريخ مصر (١) ان ابن طولون كان لا يبعث قط وانه اخذ درجا من الكاغد وجعل يبعث به وبقي بعضه في يده . فمعجب الحاضرون . فقال اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال وهي قائمة اليوم على ذلك . اه حسن المحاضرة .

وقال ابن دقاق في كتابه الانتصار « والمنارة من اغرب المنائر عمارة لان مراقبيها من ظاهرها يطالع عليها الى اعلاها بدرج عريضة تسع جملين محملين (٢) يصعدان اليها . وسبب عمارتها على هـ هذه الصورة ان ابن طولون كان ساكن المجلس لا يبعث بيده ابدا وانه اخذ بيده درج ورق فادخل اصبعه في احد طرفيه فخرج الطرف الآخر . فتمعج اهل المجلس من ذلك ونظر بعضهم الى بعض

(١) تاريخ مصر عنوان الجملة كتب صنفها كثيرون من المؤرخين مثل ابي سعيد عبدالرحمن بن أحمد الشهير بابن يونس الذي توفي سنة ٣٤٧ وابن زولاق الذي توفي سنة ٣٨٧ والمسبحي الذي توفي سنة ٤٢٠ والقفطي الذي توفي سنة ٦٤٦

(٢) وهم ابن دقاق في عرض الدرج فان عرضه أى طوله ١٠٥٥ متر بخلاف عرض الجالين المحملين فانه على أقل تقدير ٦٠٠ امتار ويظهر ان ابن دقاق لم يشاهد المنارة

ففتن بسرعة وكان ذكياً . فقال إنما فعلت ذلك لاني اردت ان
أبني منارة مسجدى الجامع كذلك وأمر المهندسين ان يبنيوها على
ذلك المثال . اهـ

وذكر المقرئ في خطه هذه الرواية الا انه لم يعين عرض
الدرج وقال والعمامة يقولون ان العشارى (المركب) الذى عليها يدور
مع الشمس وليس صحيحا وإنما يدور مع دوران الرياح . وكان الملك
الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطالها . وهذا
العشارى وجده ابن طولون فى الكنز اهـ

وقد شاهدها محمد بن احمد المقدسى البشارى بعد بنائها باكثر
من قرن وقال عنها فى كتابه « احسن التلخيص » (١) مانصه :
« ومنارته (جامع ابن طولون) من حجر صغيرة درجها من خارج » اهـ
فهل المنارة الحالية هى التى عاينها البشارى ام اقيمت على انقاض الاولى ؟
لاشك ان هذه المنارة غير تلك والدليل على ذلك ملباتى

(١) — شكل عقود السفل يدل على انه متاخر عن بناء الجامع
بزمن مديد لان هذا الشكل لم يوجد فى الابنية الاثرية
بمصر الا فى محل واحد عمل فى القرن السابع الهجرى .

(١) عند الكلام عن هذا الكتاب فى صفحة ٣٢ فاتقن ان
شكر حضرة الاستاذ الشيخ محمد الحضرى بك مدرس التاريخ الاسلامى
بجامعة المصرية فانه هو الذى ارشدنى الى هذا الكتاب النفيس

زمن الايوبيين واعنى به رباط ازدمر الشهير الآن بتربة
مصطفى باشا حاكم اليمين بشارع القادرية ومسجل تحت
رقم ٢٧٩ اثر .

(٢) — بناء قاعدة المنارة من الجهة الغربية الملاصقة لحائط
الزيادة غشيم اى غير نظيف فلو كانت المنارة من زمن ابن
طولون لجعل البناء منحوتا نظيفا خصوصا اذا علمنا ان
حائط الزيادة عملت بعد بناء المنارة كما سيرد ذاك

(٣) — المقرنصات الحليية التى بالجزء الاعلى لم توجد بمصر
الا فى القرن السابع . وهذا الجزء عمل والقاعدة فى وقت
واحد بدليل معدن الحجر فانه واحد فى الاثنين

(٤) — وقال هرتس باشا فى دليل دار الآثار ص ١٨
« توجد أدلة كثيرة تنفى ما قيل من ان المنارة الكبرى
بنيت مع الجامع لان بناء وشكل عقود السفلى ينفيان » اه
وقال السيوطى وابن اياس فى كتابيهما « واختفى لاجين فى
مئذنة جامع ابن طولون مدة طويلة »
وقال ابن اياس فى موضع آخر « واختفى لاجين فى خزانة ابن
طولون سنة »

فاذا سلمنا بالقولين تكون الخزانة والمئذنة بجوار بعضهما لان
الاختفاء لا يكون الا فى غرفة او وراء حجاب

ومنارتنا هذه مكشوفة للرياح والشمس فلم يكن بها ما يستكن فيه وسلمها ظاهر للعيان فلا يحجب احدا ويستنتج مما تقدم ان المنارة الحالية حديثة الانشاء اقيمت على انقاض الاولى ويترجح عندي انها من بناء حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦ صنعها على مثال المنارة القديمة التي بنيت بالحجر على شكل منارة جامع سامرا (١) وشكل هاتين المنارتين مثال اشكال المراسد الكلدانية وبرج بابل

وفي سنة ١١٠٥ هـ ت ربح شديدة فاسقطت المركب التي كانت على هذه المنارة (٢)

ثم طرأ على هذه المنارة ما طرأ على الجامع من التخريب والهدم

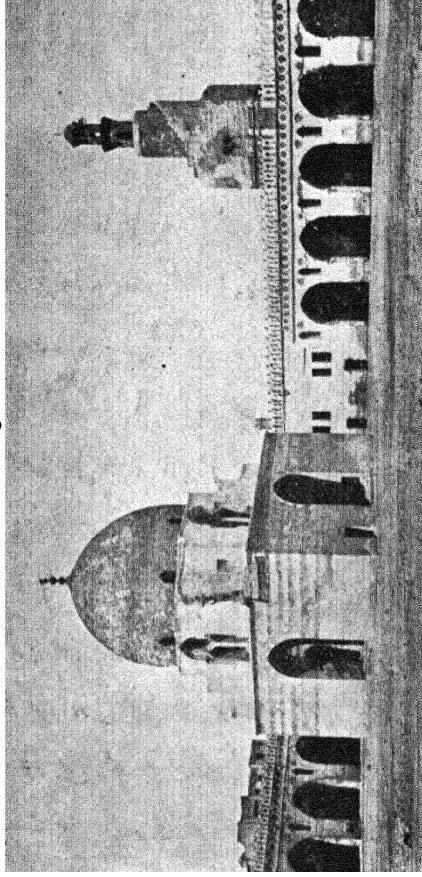
(١) ابن دقاق والمقرئزي . وسامرا بلدة عظيمة بالعراق

كانت مقر الخلفاء اختطها المعتصم الذي تولى سنة ٢١٨ و زاد فيها المتوكل الذي تولى سنة ٢٣٢ وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من راي ثم اختصر الاسم ف قيل سر مرى . ولما خربت سميت ساء من راي ثم اختصرت ف قيل سامرا . وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد أبست حيطانه بالمينا وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة اه احسن التقاسيم

وهي تبعد عن بغداد بنحو ٣٠ ميلا

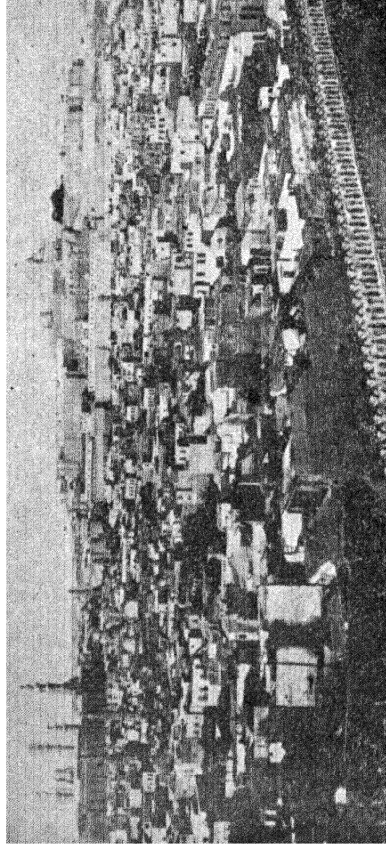
(٢) جبرتي ص ٢٥

الوحة السابعة



جامع احمد بن طولون
القبّة والمنارة بعد الاصلاح (رسم المؤلف)

اللوحة الثامنة



منظر جزء من الجهة الشرقية للقبيلة للفاخرة مأخوذ من فوق منارة جامع احمد بن طولون
(رسم المؤلف)

وتأكل احجار السلم فجاءت لجنة الآثار العربية فرمت السلام جميعها
والذروة المحيطة بها وجزأ من الخوذة حتى صارت فى مأمن من
عوادى الدهر — انظر اللوحة السابعة — يصعد عليها المتفرج فيرى
من اعلاها منظر مصر البهيج يرى اهرامات الجيزة ودهشور والنيل
واوائل الدلتا والمقطم والقلعة وابنية المنازل والمعابد والحدائق الى غير
ذلك . وقد تصادف صمودى على هذه المنارة فى وقت كانت
جارية فيه عمارة منارتى جامع الرفاعى فصورتهما مع جامع السلطان
حسن والقلعة وغيرها كما ترى فى اللوحة الثامنة .

وقد كانت المنارات بمصر تبنى اولاً بالآجر يستثنى من ذلك
منارات جامع ابن طولون والحاكم فانهما بالحجر . ثم صارت تبنى
القواعد بالحجر فقط والجزء العلوى بالآجر . ولما كثر استعمال
الحجر النحت بنيت به المنارات باكملها .

اول منارة بالحجر منارة المدرسة المنصورية التى انشاها قلاون
بالنحاسين سنة ٦٨٤ ثم منارة جامع الامير حسين الذى انشىء سنة
٧١٩ فنارة المدرسة الاقباوية (١) بالازهر ومنارة جامع الماردانى
سنة ٧٤٠ بناهما مع المدرسة والجامع المعلم ابن السيوفى رئيس

(١) قال المقرئى ص ٣٨٤ > ٢ ان منارة الاقباوية
هى اول مثذنة عملت بالحجر المنحوت بديار مصر بعد المنصورية اه

المهندسين في الايام الناصرية .

❦ المذارة الآجرية ❦

هذه المذارة بالزاوية البحرية الشرقية اعلى حائطى الجامع والوصول اليها من سطحه . بناها في عصر الناصر محمد بن قلاوون القاضى كريم الدين الكبير وكان قد انشأ مذارة اخرى فى الزاوية الشرقية القبالية المقابلة لها سقطت فى القرن الثالث عشر الهجرى . وهذه المذارة بها ميل ربما كان سبباً فى سقوطها يوماً ما

١٠ — الزيادة واسباب وجودها

وقيل لما انتهى الجامع وفتح للصلاة لم يحضر أحد من المصلين لاعتقادهم انه بنى من مال لا يعرفون اصله وكان الناس فى ذلك الوقت محترزين على دينهم . فعز ذلك على ابن طولون وجمعهم فى يوم جمعة وخطب فيهم واقسم بالله العظيم الذى لا اله الا هو انه ما بنى هذا الجامع ويده تشير اليه بشئ من ماله وانه بناه بكنز ظفر به فى الجبل الثالث وان العشارى الذى نصبه على مثذته وجدته فى

الكنز وكل الخطبة . فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير وصلوا الجمعة فيه .

ولما سمع الناس منه حكاية المحراب السالف ذكرها وكيف بنى واشاءوا ذلك عظم شأن الجامع وضاق على المصلين فقالوا لابن طولون نريد ان تزيد لنا فيه زيادة فزاد فيه هذه الزيادة بظاهره (١) ولا عبرة بما يقال من ان هذه الزيادة اقتطعها ابن طولون من الجامع لما وجدته اكبر مقاساً من الحرم المكي فان هذا محض اختلاق اذ متوسط مقاس الحرم من الداخل الآن يبلغ ١٠٨٥٠×١٦٥٠٠ متراً ومقاس جامع ابن طولون من الداخل عند الزيادة هو ١٤٢٣٥×١٢١٧٠ والفرق بينهما واضح

وقد احترق جزء من الزيادة البحرية في سنة ٤٧٠ من الهجرة فجدده بدر الجمالي . ونقش بالخط الكوفي اربعة اسطر على لوح رعام مقاسه ٢٧٠×٥٠ متر تاريخ التجديد وسببه فقال مانصه بعد البسملة وآية انما يعمر مساجد الله

« نصر من الله وفتح قريب لعبد الله وولييه معدي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنه الاكرمين . امر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما ابدعه المارقون فيه السيد الاجل أمير الجيوش

سيف الاسلام ناصر الامام ابو النجم بدر المستنصرى ادام الله قدرته واعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين واربعمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله

الطاهرين وسلم تسليما » — انظر اللوحة التاسعة —

وهذا اللوح ملصق من الخارج اعلى اول باب من بحرى شرقى وهو باق سليم لم يتوره كسر ولا نقص . ومن العجب ان هذه العمارة بل وهذا الخريق لم يرد لهما ذكر فى كتب التاريخ الشهيرة

ولما تخرب الجامع عملت هذه الزيادة البحرية ورشة (معمل) لادوية . ثم بيعت الزيادة القبلية مع جزء من الزيادة الغربية . وقد شرعت لجنة حفظ الآثار فى استرداد هذه الاجزاء المبيعة وتخليئة الجامع من الابنية التى حوله وفقها الله لآعام هذا العمل الجليل وذال لها المصاعب

وقد جعل ابن طولون بالزيادة الغربية مiazza بناها بعد انتهاء بناء الجامع بدليل مارواه ابن عبدالظاهر وهو لما فرغ من بناء الجامع اسر للناس بسماع ما يقال فيه من العيوب . فقال رجل محرابه صغير . وقال آخر ما فيه عمود . وقال ثالث ليست له مiazza . فجمع الناس وقال «...» . واما المiazza فانى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته

اللوحة التاسعة



صورة اللوح الرخام المنقوش عليه تاريخ سنة ٤٧٠. بجامع احمد بن طولون (رسم المؤلف)

منها وانا ابنيها خلفه ثم امر ببنائها « (١) — اه — واظنها هي التي في الجناح البحرى الغربى من الزبادة وبها ساقية . اما الميضة التي في الجناح الغربى القبلى فالذى بناها هو الحاج عبيد بن محمد الهويدى البازدار مقدم الدولة في ايام السلطان برقوق .

قال المقرئى — « وجدد الحاج عبيد ميضة بجانب الميضة القديمة في سنة ٧٩٢ من الهجرة » اه

وجعل ابن طولون في هذه الزيادة الغريبة خزانة شراب وهي التي ورد ذكرها في صفحة ٧ من هذا الكتاب . وموجود على يسار المنارة مصلى وتربة الشيخ شرف الدين المدينى ومنقوش على قطعة خشب مركبة اعلى باب المقام مانصه بعد الآية القرآنية « انشا هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا الشيخ شرف الدين المدينى اعاد الله علينا من بركاته بتاريخ شهر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة »

وعمل السلطان حسام الدين بجوار الجامع بالزيادة القبلية سبيلا ومكتبا في سنة ٦٩٦ لاقراء ابناء المسلمين القرآن . وهذا المكتب هدم ولم يبق منه الا اجزاء من السبيل الذى كان تحته

١١ — الدعامات الحاملة للبوائك

عند ما اراد ابن طولون بناء الجامع قدر له ٣٠٠ عمود رخام فقيل له لا تجرها الا اذا ارسلت الى الكنائس في الارباب والضياع الخراب فتحملها منها . فلم يشأ ذلك واستبدلها بالدعائم الآجر فوجد بالجامع ١٦٠ دعامة و ١٨ نصف دعامة . فاذا قلنا ان كل دعامة محل عمودين وكل نصف بعمود كان الناتج ٣٣٨ وهو عدد الاعمدة التي كانت توضع بالجامع وهو قريب من التقدير . اما الآن فكل دعامة بها في نواصيها اربع اعمدة بالآجر من نفس بناء الدعامة . فعدد هذه العمدة الآجرية ٦٧٤ عمودا . ومقاس قاعدة كل دعامة ٢٥٠ × ١٣٠ مترا

وكان قد عمل بالرواق الكبير الشرقي خمس صفوف بوائك سقط صف منها وهو الذي بجانب الصحن في سنة ١٢٩٢ الهجرية وعمل بكل من الاروقة الثلاثة المحيطة بالصحن صفي بوائك وهي باقية للآن عدا جزء من الجناح الغربي فانه سقط ولم يعد الى أصله



١٢ — ابواب الجامع

وقد عمل له ١٩ بابا ستة في كل من الجنين البحرى والقبلى .
 وخمسة فى الغربى واثنان فى الشرقى . ولما بنى الزيادة حول الجامع
 من وجهاته الثلاث عمل تجاه كل باب من هذه الابواب بابا . ثم
 جعل بايين فى منتصف نهاية الزيادتين البحرية والقبلىة من شرق —
 ويغالب على الظن انه جعل امامهما بايين اخرين لان النظام الهندسى
 يقتضى عليه بذلك . فتكون عدة ابوابه جميعا ٤٠ بابا .



١٣ — السبب فى بناء الجامع بالآجر

قال القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ - « وقيل ان أحمد بن طولون قال
 اريد ان ابني بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى . فقيىل له
 يبنى بالجير والرماد (القصر مل) والآجر الاحمر القوي النار (المستوى)
 الى السقف ولا يجعل فيه اساطين رخام فانه لا صبر لها على النار . فبناء
 هذا البناء وجعله على شكل جامع سامرا وكذلك المنارة . (١) اهـ

— ولعل السبب في طلب الامير ذلك هو ما روى عن قاسم
ابن اصبع عن احمد بن زهير عن هرون بن معروف عن ضمرة
الشيباني قال تهاك مصر غرقا او حرقا . (١)

وكما ان هلاكها سببه زيادة النيل فكذلك تقصانه لما روى
الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سالم بن ابي سالم عن
عبدالله بن عمرو قال : اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر .
قال فقلت له ما يخرجنا منها يا ابا محمد ؟ اعدو ؟ قال لا ولكن يخرجكم
منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه النكشبان
من الرمل وتاكل سباع الارض حيتاته . (٢)

١٤ — ما فعله الامير مع الدمال اثناء الدمار

رأى الامير الصناع يبنون في الجامع قبل الغروب في شهر
رمضان . فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم واولادهم ؟
اصرفوهم العصر . فصارت سنة الى اليوم بمصر (القرن التاسع
المجري) .

ولما مضى الشهر قيل له قد اتقضى شهر رمضان فيعودون الى
(٢١ و ٢) مقرى ص ١٣٦ و ١٣٧ > ٢ طبة الملبى

رسمهم . فقال قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر
العمل علينا . (١)

١٥ - ما فعله الأمير عند افتتاح الجامع

لما انتهى الجامع من العمارة نقل إليه القراء والفقهاء وصلى فيه
القاضى بكار بن قتيبة . ودرس فيه الربيع بن سليمان حديث « من
بنى لله مسجداً ولو كفح حصق طاة بنى الله له بيتاً فى الجنة » وبعد
صلاة الجمعة الأولى جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام
المستملى وفتح بابها وجلس الأمير لسماع الدرس والعلمان وسائر
الحجاب قيام حتى انتهى المجلس . ثم ارسل الأمير غلاماً ومعه ألف
دينار الى ابن الربيع وقال له : يقول لك الأمير نفعك الله بما علمك
وهذه لابی طاهر يعنى ابنه . وقد تصدق أيضاً بصدقات عظيمة
وعمل طاماماً للفقراء والمساكين .

وقد تقرب الناس بالصلاة فيه والزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة
فى فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع ليكتبوا العلم

ومع كل واحد وراق. وعدة غلمان .
 ثم نزل الأمير في الدار التي عملها فيه للإمارة (خلف القبلة)
 وقد فرشت وعلقت فيها القناديل وحملت اليها الآلات والأواني
 وصناديق الاشربة وما شاكلها فجدد وضوءه وغير ثيابه وخرج من
 بابها الذي بمجدار الجامع بجوار المنبر (باق للآن) الى المقصورة
 فركع وسجد شكراً لله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له .
 فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على الفوارة
 وخرج الى باب الريح فصعد المهندس الى جانب المركب النحاس
 وطلب الأمان والجائزة كما قدمنا .

ولم تزل هذه الدار ينزل بها الأمراء الى أيام المعز لدين الله
 الفاطمي فكان يجبي فيها الخراج ثم خربت فيما خرب من القطائع .
 فلما بنيت القاهرة جعلت دار الإمارة بها في القصر الكبير الشرقي .



١٦ — رؤيا الأمير احمد بن طولون

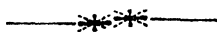
ويقال ان ابن طولون رأى في منامه رؤيتين . الأولى في أول
 الليل والثانية في آخره فاصبح متأثراً منهما . فجمع العلماء والمسيكين .

يقص عليهم ما رآه قال : رأيت نورا سطع حتى ملأ حول هذا الجامع
 فلم يقع على الجامع منه شيء . واقسم انى ما بنيت به الا الله خالصا ومن
 لمال الحلال الذى لا شبهة فيه . ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم
 فقلت له . اين اموت واين ادفن ؟ فأشار بيده هكذا وأشار باصابعه
 الخمسة . فقال رجل من قضاة وكان شيخا كبيرا حاذقا : هذا الجامع
 يبقى ويخرب كل ماحوله . فقال الأمير وما ديا لك ؟ قال قوله تعالى .
 فلما نبلى ربه للعجل جملة دكا وخر موسى صمعا . فكل ماعلاه
 النور يصير كالجبل دكا . وقال النبي عليه السلام اذا نبلى الله اشيء
 خضع له . واما اشارة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه قال لك هذه
 خمس لا يعلمهن الا الله . ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
 ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس
 باى أرض تموت . فاعجب ابن طولون هذا التعبير وأمر له بمائة دينار
 فأبى اخذها وقال فقر وغنى لا يجتمعان . (١) اه

وقد صح تفسير الرؤيا فان جميع ماحول الجامع خرب دهر
 طويلا وبقي الجامع عامرا ثم عمر ماحوله حتى كان خلفه مصطبة
 ذراع فى ذراع اجرتها يوما ١٢ درهما فى بكرة النهار لتاجر غزل وفى
 الظهر لحباز والمصر لبائع حمص وفول .

وقيل لما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت

من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله . فلما أصبح قص رؤياه
فقبل له ابشر بقبول الجامع لأن النار كانت في الزمن الماضي اذا
قبل الله قربانا نزلت نار من السماء فأخذته . ودليله قصة قايل وهابيل



١٧ — عمارة الحافظ لدين الله

وفي سنة ٥٢٦ عمل بالجامع عمارة الخليفة الحافظ لدين الله
عبد المجيد على يد القاضي سراج الدين نجم بن جعفر ونقش تاريخ
العمارة ١٤ سطرا على لوح خشب كان موجودا بالجامع وعائنه
الفرنساويون ودونوه في كتبهم ولم اعلم ماتم في امره بعدهم . وهالك
نص الكتابة السليمة التي امكنتي قراءتها من الكتاب المسطور
بعد البسملة « مما امر بانشاءه عبد الله ووليه مولانا وسيدنا عبد المجيد
ابي * الميمون الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صلوات الله
عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائهم الاكرمين * على يد عبده ومملوكه
القاضي المؤيد سراج الدين على .. المح .. ين .. المؤمنين ..
لامام عمدة الاحكام .. اطال الله جلالة وخلده .. وكاله ..
لخلافة العلوية الحافظية درا * لما ر .. والعمال ولى امير المؤمنين

ابو . . . بن جعفر . . . الله . . . وعشرين . . . شوال سنة ست
 وعشرين وخمسمائة » وهذا القاضى ترجمه ابن حجر فى كتابه رفع
 الاصر قال : نجم بن جعفر سراج الدين ابو الثريا الاسماعيلى مذهباً
 ولله الحافظ العبيدى قاضى القضاة وداعى الدعاة فى يوم الخميس
 ثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ فلم يزل حتى
 قبض عليه وقتل فى ٨ شوال سنة ٥٢٨ . اهـ
 ومن الغريب لم يذكر المؤرخون هذه العمارة . ويظهر انه اعقبها
 الخراب لانه لو اضيف اليها مدة الخراب التى ذكرها ابن اياس
 وقدرها ١٧٠ سنة كان الناتج سنة ٦٩٦ هى تاريخ تجديده على يد
 لاجين .



١٨ — اول جمل الجامع مأوى للغرباء (تكية)

لما حصل الغلاء المستصرى وتخربت القطائع والعسكر تخرب
 الجامع وما حوله وتوالت الايام عليه حتى صار مأوى للمغاربة المحتاج
 تنزل فيه بأباعرها ومتاعها عند ماتم بمصر أيام الحج .
 قال ابن جبير فى رحلته : — وبين مصر والقاهرة المسجد

الكبير المنسوب الى ابي العباس احمد بن طولون وهو من الجوامع العتيقة الانيقة الصنعة الواسعة البنيان جعله السلطان (صلاح الدين يوسف بن ايوب) مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه واجرى عليهم الارزاق في كل شهر . ومن اعجب ماحدثنا به حد المتخصصين منهم ان السلطان جعل احكامهم اليهم ولم يجعل يد لاحد عليهم فقدموا من انفسهم حاكما يمثلون امره ويتحاكمون في طواىء امورهم عنده واستصحبوا الدعة والعافية وتفرغوا لعبادة ربهم ووجدوا من فضل السلطان افضل معين على الخير الذى هم بسبيله . اهـ



١٩ — تجديد الجامع فى عصر لاجين وما بعده

قلنا فيما سبق ان الجامع تخرب وصار مأوى للغرباء المغاربة ينزهن فيه بأباعرهم وقت الحج واستمر خرابا حتى أراد الله جل جلاله عمارته فوفق له الامير حسام الدين لاجين المنصورى — وذلك انه اختفى فيه من فتنة اتهم فيها بقتله الملك الاشرف خليل بن قلاون سنة ٦٩٣ و صار يتردد فيه بمفرده وهو حينئذ خراب

لا ساكن فيه . واعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه في الارض جدد عمارة هذا الجامع فقدر الله ذلك وتسلطن في المحرم من سنة ٦٩٦ فعين الامير سنجر البرنلى ابا موسى الدوادار التركى الصالحى النجمى شادا لعمارة الجامع وفوض اليه امره وأكد عليه ان لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعا وان لا يستحث الصنائع ولا يشتري شيئا للعمارة الا بالقيمة التامة وان يكون ما ينفق على ذلك من ماله . فعمر الجامع وازال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه وسقفه وجدد المحراب والمنبر والقبه وانشا سبيلا ومكتبا - الى غير ذلك - ولما تم تعميره رتب فيه دروسا للفقهاء على المذاهب الاربعة والتفسير والحديث والطب . وقرر مرتبا للخطيب والامام والمؤذنين والفراشين والقومة وغير ذلك من انواع القربات . وبلغت النفقة على الجامع والاعيان التى اوقفت عليه عشرين الف دينار . (١)

وقال ابن دقاق انه قرر به وقفا يختص بالديكة تكون بسطح الجامع فى مكان مخصوص لتعين المؤذنين على الاوقات وضمن ذلك كتاب الوقف (٢) . اهـ ولكن ابا المحاسن نفي هذا الوقف فقال فى المنهل فى ترجمة سنجر المذكور انه لما قرئ كتاب الوقف على السلطان اعجبه الا بالديكة فانه امر باطلاها لئلا يضحك الناس عليهم اهـ .

(١) مفرى ص ٢٦٨ ح ٢

(٢) ابن دقاق ص ١٢٤ ح ٤

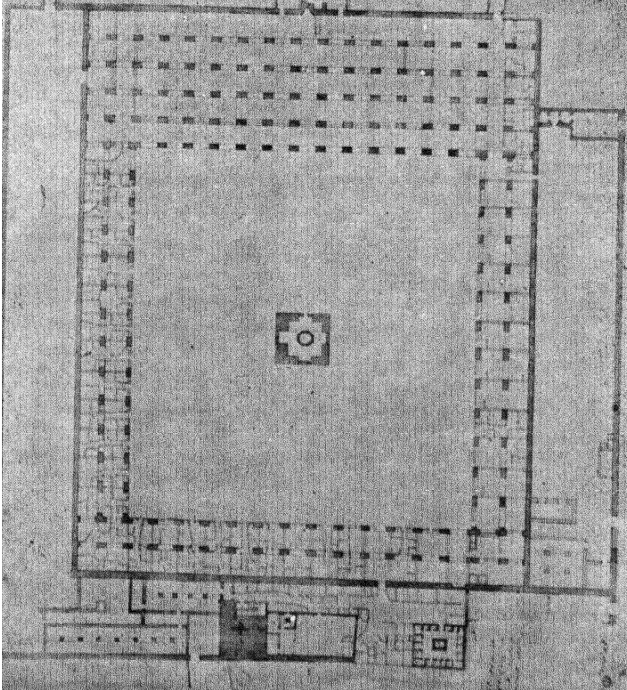
ويظهر انه استبدل ذلك بساعات شمسية (مزاوِل) فقد عثر
 «الفرنساويون على بقايا مزولة كانت بالجامع منقوش على احد اضلاعها
 مانصه : « . . . بعمل هذه الساعات بالجامع . . معروف باحمد بن
 طولون تغمده الله برحمته في سنة ٦٩٦ » — راجع الخطط
 الفرنسية —

ولما تكلم السيوطى على هذا الوقف فى كتابه حسن المحاضرة
 لم يقره . وقال انه كان بالنااهرة فى سنة ٧٢١ حريق كبير متتابع ودام
 اياما فى اماكن واحرق هذا الجامع وما حوله
 وفى سنة ٧٦٧ جدد الامير يلغا العمرى الخاصكى درسا فيه
 سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر ٤٠
 درهما وارذب قمح فانقل جماعة من الشافعية الى المذهب الحنفى .
 وفى سنة ٧٩٢ جدد الرواق البحرى (الايوان الغربى) الملاصق
 للمئذنة الحاج عبيد بن محمد الهويدي البازدار .

وقد تداولت عليه الايام تارة بالاصلاح والتعمير وطورا بالخراب .
 حتى عمل فيه معمل (ورشة) لعمل الاحرمة الصوف فى اواخر القرن
 الثانى عشر الهجرى . ثم اتخذ تسكية للفقراء فاورثوه خرابا وتقديرا
 وتتنا وجعلوا فيه عششا واوكارا كما يرى فى اللوحة العاشرة التى
 رسمت سنة ١٣٠٥ من الهجرة

وصار المستعمل للصلاة من هذا الجامع جزء صغير بالرواق الكبير

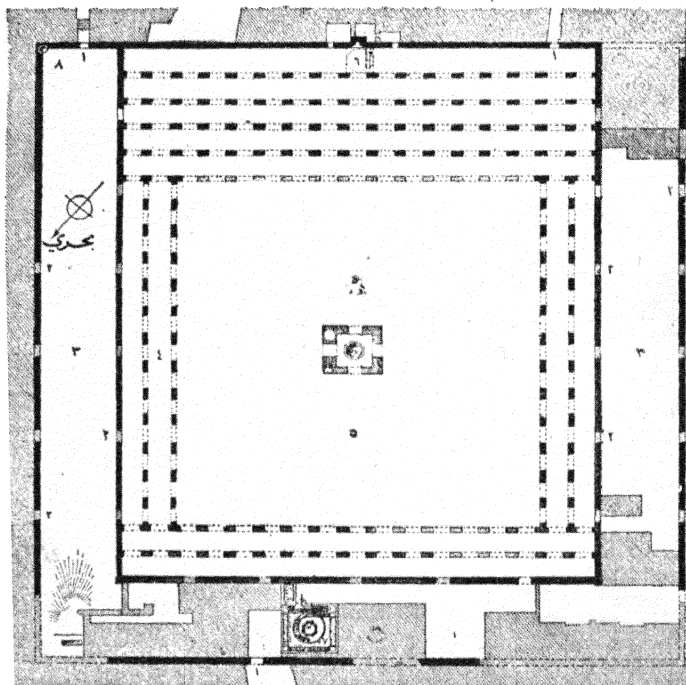
اللوحة العاشرة



مسقط ائقي عن جامع احمد بن طولون قبل الاصلاح
(من محفوظات اللجنة)

اللوحة الحادية عشرة

٥٠ انظر التقرير تمرة ٧٨ •



دستور جامع طولون بقاعة الكباش بالقاهرة

مَحَذَّوَل

الواب قديم مدور
سكن الدائرة
الوجه
قوله ومه
البارك

ما من مئة اشياء الا ما يغني
 ما اري من زم بعد ذلك
 ما شئت
 اكاف غير موجود
 انار النور
 مذاحل

٨ المسار الصغير

جامع احمد بن طولون

مسقط افق عن الجامع بعد الاصلاح (من مجموعات اللجنة)

تبلغ مساحته ٥٠٧٧٧ × ٢٦٠٠ مترانم سقط جبل البوائك الشرقية للصحن في سنة ١٢٩٢ كما سبق ذكره . واستمر خراباً حتى جاءت لجنة حفظ الآثار فاصلحته كما يأتي .

وقد جاء في الخطط التوفيقية ص ٤٨ ح ٤ ان طول الجامع من احدى جهاته ٨٠٠٠ مترا ومن جهة اخرى ٧٦٠٠ مترا فمساحته ٦٠٧٠ مترا (٦٠٨٠) وهو اقل من نصف مساحة جامع عمرو . اهـ والحقيقة ان مقاس الجامع والزيادة هو ٢٥٢٦٢ فمساحته ٢٦٣٢٥٠٦ مترا مربعا وهو اكثر من جامع عمرو بقدر ١١٩٢٥٠٠ مترا

٢٠ — اعمال لجنة حفظ الآثار بالجامع

وقد هبأ الله لاصلاحه لجنة الآثار فهدمت كل العيش ورمت بعض المباني المتداعية من الحيطان والدعائم والمنبر والقبة والمئذنة للحكبرى وبيضت ما يلزم تبييضه وجددت السقف وبعض المناور الجص والقبة الصغرى وبطلت بعض اجزاء مهمة به الى غير ذلك من الاعمال الشاهدة لها بالفضل الناطقة لها بالشكر على الدوام فاصبح الجامع نقيفا من جميع الادران اتى كانت به وهو الآن كما ترى في اللوحة الحادية عشرة وبها تمت المحاضرة

كلمة شكر

لما شرعت في طبع هذه المحاضرة احتجت الى نشر بعض
صور فوتوغرافية عن حالة الجامع ومسقطه الافق قبل اصلاحه
ولما كانت هذه الصور لا توجد الا في مجموعة الرسوم الفوتوغرافية
بلجنة حفظ الآثار العربية فاوضت في ذلك جناب مسيو باتريكولو
المفتش القائم بالاعمال الهندسية باللجنة فاجازني بمزيد الارتياح باخذ
ما يلزمني . وقد خص هذه المحاضرة منها اللوحات الاولى والسادسة
والعاشرة

وانى اشكر جنابه جزيل الشكر واملى ان أكون اديت شيئا
من الخدمة العمومية بما نشرته وما سأنشره فيما بعد بمون الله تعالى

— هيئة لجنة حفظ الآثار العربية —

تشكلت لجنة حفظ الآثار العربية بأمر عال في ٢٦ من المحرم سنة ١٢٩٩ هـ وتنعقد جلساتها برئاسة حضرة صاحب المعالي وزير الاوقاف العمومية . وفي حال غيابه ينوب عنه حضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة . واعضاؤها يعينون بموجب ارادة سنية وتنحصر اعمالها فيما يأتي

اولا — اجراء اللازم لجرد وحصر الآثار للعربية القديمة التي يكون فيها فائدة صناعية او تاريخية

ثانيا — ملاحظة صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف واخبار نظارة الاوقاف بالتصليحات والمرمات المقتضى اجراؤها فيها مع ايضاح المهم منها

ثالثا — النظر في الرسومات والتصميمات التي تعمل عن المرمات اللازمة لهذه الآثار والتصديق عليها وملاحظة اجراء تلك المرمات

رابعا — اجراء حفظ رسومات جميع الاشغال التي تنتهي بكتبخانة الاوقاف واعلان النظارة المذكورة عن القطع التي تتخلف عن العمارة ويلزم نقلها للاتيكنخانة لاجل حفظها بها .

وتتكون اعضاؤها كما يأتى :

رئيس شرف

حضرة صاحب السمو الامير محمد على (١٩١٣)

رئيس

حضرة صاحب المعالي ابراهيم فتحى باشا وزير الاوقاف (١٩١٤)

نائب الرئيس

حضرة صاحب السعادة محمد شفيق باشا وكيل وزارة

الاوقاف (١٩١٣)

الاعضاء بحسب الاقدمية

التعيين

سنة ميلادية

١٨٨٢ حضرة صاحب السعادة يعقوب ارئين باشا - وكيل

المعارف سابقا

١٨٩٦ » » العزة حنا بك باخوم - وكيل دائرة حضرة

صاحب السمو الامير يوسف كمال

١٩٠٠ » » السعادة ابراهيم نجيب باشا - ناظر

الاوقاف سابقا

١٩٠٠ حضرة صاحب العزة على بك بهجت - امين دار الآثار
العربية

١٩٠٦ » » السعادة مرقص سميكة باشا - عضو بالجمعية
التشريعية

١٩٠٧ » » السعادة محمود باشا فهمي - باشمهندس
وزارة الاوقاف سابقا

١٩١٠ جناب مستر فرنل - عضو بقومسيون صندوق الدين
١٩١٠ حضرة صاحب العزة احمديك عمر - باشمهندس مصلحة
التنظيم

١٩١٢ » » السعادة عمر سلطان باشا - من اعيان القطر
١٩١٢ جناب مسيو بيير لاكو - مدير مصلحة الآثار التاريخية
١٩١٢ جناب المستر مردوخ مكدونالد - وكيل وزارة الاشغال
١٩١٣ حضرة صاحب السعادة احمد زكي باشا - سكرتير مجلس
الوزراء

١٩١٣ جناب مستر هزول - مراقب مصلحة التنظيم
١٩١١ » » فرث - من المشتغلين بالآثار
١٩١٥ حضرة صاحب المالى اسماعيل مري باشا - وزير
الاشغال والحرية

١٩١٥ حضرة صاحب المعالي عدلى يكن باشا - وزير المعارف

١٩١٥ حضرة صاحب السمو الامير يوسف كمال

١٩١٥ جناب مسيو دارسى - السكرتير العام بمصلحة الآثار
التاريخية

١٩١٥ جناب مستر رونالد ستورس - السكرتير الشرقى بدار
الحماية

هذا عدا احد عشر عضوا وسكرتيرا وكلهم اعضاء شرف منهم
حضرة صاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم ناظر الاوقاف سابقا -
اما الابقون فمن الاحانب المقيمين خارج القطر



فهرست الكتاب

١٥	المحراب المستنصرى	٢	الخطبة
١٧	ترجمة عبد الحاکم بن وهب	٣	الشروع فى بناء الجامع —
١٩	محراب لاجين		اختلاف المؤرخين فى تاريخه
	المحراب المملوكى		القطائع —
٢٠	اقدم المحاريب بمصر	٤	قناطر ابن طولون
٢١	المنبر — واقدم المنابر بمصر	٥	ابن عبد الحکم الفقيه
٢٢	حادثة الخطيب	٦	جبل يشكر
٢٣	المناور الجص	٧	جبل الكباش
٢٧	اسقف الجامع وايزاره	٨	هندسة البناء
٢٨	اللوح الرخام المنقوش بالقلم الكوفى	٩	فسيفساء المحراب المحاريب
٣١	القبة بوسط الصحن	١١	المحراب الاصلى واسباب انحرافه
٣٤	الكعبة ومقاسها		خمس عرّوض واطوال المدينة
٣٦	اقدم القباب		والقاهرة ومكة
٣٦	الممارات — المنارة الكبرى	١٣	كسوة المحراب المذكور
٤١	اقدم المنارات الحجرية	١٤	المحرابان الصغيران
٤٢	المنارة الآجر		

فهرست الكتاب

٤٢	الزيادة واسباب وجودها	٥٠	دليز الامارة
٤٣	عمارة بدر الجمالى الجزء من	٥٠	رؤيا الامير ابن طولون
	الزيادة	٥٢	عمارة الحافظ لدين الله
٤٤	المبضاة	٥٣	اول من جعل الجامع مأوى
٤٥	تربة شرف الدين المدينى		للغرباء
٤٥	السبيل الباقي بالزيادة الغربية	٥٤	تجديد الجامع بمعرفة لاجين
٤٦	الدعامات		ومن بعده
٤٧	الابواب	٥٧	اعمال لجنة حفظ الآثار بالجامع
٤٧	السبب فى بناء الجامع بالآجر	٥٨	كلمة شكر
٤٨	ما فعله الامير مع العمال	٥٩	هيئة لجنة حفظ الآثار
٤٩	» » عند افتتاح الجامع	٦٠	اعضاء اللجنة

